من وراء البحار

السياسة الخارجية الأمريكية

لعل وصف ستر جو ألسوب لسياسة الولايات المتحدة الخارجية ، الذى نشره فى عدد أكتوبر من مجلة « هوريزن » ، هو خير تحليل قرأناه عن هذه السياسة فى الأشهر الأخيرة ؛ فهو يقول إن أداة السياسة الأمريكية الخارجية هى أداة معقدة كثيرة المتناقضات ، وإن الرجال الذين اعتادوا أساليب السياسة الأوربية يجدون صعوبة كبيرة فى فهم السياسة الأمريكية ، وإذا فتح الله عليهم بفهمها فانهم لا بد أن يشعروا بصدمة للطرق السياسية التى تتخذ منعرجات عجيبة . بل إن الأمريكيين أنفسهم لا يفهمونها إلا إذا كانوا على علم بالعلاقات المتعقدة الكثيرة التعاريج بين البيت الأبيض والبرلمان والرأى العام ؛ وكانوا على علم بالتاريخ الوطنى ، والعوامل الجغرافية ، وسير الحوادث العالمية ، وهى التى تبنى عليها السياسة الأمريكية .

لهذه الأسباب نجد اتجاهاً يكاد يكون عاما للنظر إلى السياسة الأمريكية بعين الماضى ، وتجاهل التغييرات الكبيرة التى طرأت على هذه السياسة فى السنوات الست الأخيرة . ولكن هذه التغييرات هى التى تجعل من المحتمل ، وإن كان من غير المؤكد ، أن تتبع الولايات المتحدة الآن سياسة دولية إيجابية وتامة وتقدمية بقدر ما تتطلبه الأحوال الشديدة الملحة التى قامت فى العالم فيما بعد الحرب . ولكى نفهم لماذا كانت مثل هذه السياسة مستحيلة فى الماضى ، ولماذا كان أكبر زعماء أمريكا وهو فرانكلين دلانو روزفلت لا يستطيع قيادة شعبه مطلقاً بل كان دائماً يداور ويلعب دور المحتال فى الفترة السابقة على الحرب ، يجب أن نضرب مثلا بحادث واحد : ففى آخر اجتماع للبرلمان الأمريكى فى دورة سنة ١٩٣٩ ، كان متوقعاً أن يوافق مجلس الشيوخ على إلغاء قانون الحياد على أنه ضرب من الانذار لهتلر ، إذا أمكن إقناع المجلس بأن هنالك خطراً من وقوع حرب . وكانت الجلسة التى

أثير فيها هذا الموضوع خطيرة ، وأذيع فيها عن مستر جاى جيليت ، النائب عن ولاية يوها ، أنه قضى ليلة كاملة وهو راكع ، يسأل الله القدير أن يلهمه الجواب . ومع ذلك طغى على هذا المتعبد نفوذ مستر وليم بوراه عضو الشيوخ عن ولاية إداهو . فان بوراه وحده استطاع أن يقنع مجلس الشيوخ ، بما فيه مستر جيليت ، بأن الحرب لن تقع ، وحاول روزفلت محاولة أخيرة لكى يحمل أعضاء الشيوح على تأييد وجهة نظره لالغاء قانون الحياد ؛ فدعى مستر بوراه وغيره من الأعضاء البارزين من الحزبين الغالبين إلى اجتماع ليلى فى البيت الأبيض ، وحاول هو وكوردل هل أن يصفا فى تفصيل وفى جد عميق ، الخطر الفظيع الذى كان عندئذ جاثماً فوق العالم بأجمعه .

وعندما انتهى مستر هل وزير الخارجية من تفصيلاته ، أخبره مستر بوراه فى برود بأنه لا يحترم كثيراً آراء وزارة الخارجية ، وأن من عادته أن يجمع معلوماته بنفسه ، وأن المصادر التى يعتمد عليها كل الاعتماد تؤكد أن الحرب لن تقع . وانتهى الاجتماع فى شئ من الاضطراب لأن مستر هل ، الذى كان يسير فى شيخوخته ، عندما رأى هجوم زميله السابق ، بكى حنقاً وأسفاً على خيبة آماله . وحدث بعد ذلك بقليل عندما عرف ما كان فى هذا الاجتماع ، أن جرؤ أحد الكتاب وسأل بوراه عن مصادر أخباره ، فأجاب بوراه فى بساطة متناهية أنه لكى لا يقع فى أحاييل وزارة الخارجية الأمريكية ، اشترك فى مجلة «الأسبوع» الانجليزية ، وقال إن هذا الاشتراك كان مفيداً جدا ، وأنه اقتنع من الجريدة بأن حكومة تشمبرلين تعد تسليما آخر فى مسألة بولونيا ، كما فعلت فى مونيخ ؛ وحين أنبئ بأن هذه المجلة يحررها عضو من الحزب الشيوعى البريطانى لم يبد اهتماماً يذكر.

ومع ذلك لم يكن مستر بوراه تافهاً ولا غبيا ولا شريراً ، ولقد كان نفوذه سيئاً على العلاقات الخارجية الأمريكية ولكنه باعتباره فرداً من الأفراد كان رجلا كبيراً وشجاعاً ووطنيا . وهذا التناقض بين نفوذه السيى وصفاته الكبيرة كان سببه بسيطاً جدا . ذلك أنه يمثل فى نفسه الصفتين البارزتين فى أعضاء البرلمان الأمريكى ، وهما اللتان حالتا دون أن تكون السياسة الأمريكية الخارجية مفهومة إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية . وأولى هاتين الصفتين هى حرص أعضاء البرلمان على المحافظة على استقلالهم من الهيئة التنفيذية . وقد

ذهب الأعضاء فى هذا الحرص إلى حد أنهم يؤثرون أن يظلوا على جهل بالأمور على أن يلتجئوا فى استقصاء معلوماتهم عن الأمور العالمية من مصادر الهيئة التنفيذية . والصفة الثانية هى الحرص على الاحتفاظ بالنظرة الاقليمية . ولقد كان هذا الحرص بارزاً فى حالة مستر بوراه حتى لقد كان يرفض السفر إلى الخارج ، زاعماً أن السفر قد يدنس سلامة أحكامه بصفته الخبير الأول فى الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ ! وهاتان الصفتان يفهمهما كل من عرف أمريكا منذ بضع سنوات ؛ فهذه النظرة الاقليمية كانت تمد جذورها فى السعادة والأمن ، اللذين كانا يجدهما الأمريكيون من الطبقة المتوسطة المسيطرة قبل أن حطمت الحرب هذا النوع من التفكير . وكانت الريبة التى يظهرها أعضاء البرلمان فى الهيئة التنفيذية هى نتيجة حتمية للفصل التام فى أمريكا بين السلطتين التشريعية والتنفيذية .

ويجب على الذين يبحثون عن مستقبل السياسة الأمريكية الخارجية أن يقدروا أمرين هامين حق قدرهما : الأمر الأول أن الصفتين اللتين ذكرناهما من قبل أصبحتا غير متسلطتين . وربما كان كل أمريكى عاقل يشعر بحنين طبيعى إلى الماضى البسيط حين كانت التبعات الوطنية أقل عبئاً وتدخلا فى الحياة ، ولكن الحرب العالمية الثانية قد أقنعت السواد الأعظم بأن التنحى عن التبعة هو أفدح أنواع الجنون ثمناً . ولا يزال كل عضو فى البرلمان يحتفظ بكراهية طبيعية للهيئة التنفيذية بتفرعاتها الواسعة الغامضة . ولكن الحرب العالمية الثانية أحدثت تغييراً دستوريا كبيراً ؛ إذ أقامت جسراً بين السلطتين التشريعية والتنفيذية . ورمز هذا التغيير هو السير على سياسة خارجية يوافق عليها الحزبان المسيطران فى أمريكا . فقد وجد رئيس الجمهورية ووزارة الخارجية وسيلة لذلك، بأن اعتبرا مستر أرثر فاندنبرج عضو الشيوخ عن ميتشيجان ، ومستر توم أوكونالى عضو الشيوخ عن تكساس ممثلين لمجلس الشيوخ ، فتمكنا بذلك من الاتصال بهما سرا واستشارتهما ، وبذلك يمكن الوصول إلى قرارات يقرها أعضاء البرلمان .

أما الأمر الثانى الحيوى فهو بسيط جدا ، وهو أنه بالرغم من اختفاء مظاهر الاقليمية السياسية ومظاهر الريبة فى الحكومة بين أعضاء البرلمان فان هذه المشاعر لم يقض عليها تماماً . وهذان الأمران هما مفتاح ذلك اللغز

الغامض فى السياسة الأمريكية ، وتأثير الظروف العالمية فيها من نهاية الحرب إلى الآن .

بالرغم من الاشاعات الكاذبة التى أذاعها بعض ذوى الأغراض بين الجهلاء عن الرئيس روزفلت قبل نهاية الحرب ، فلقد كان عازماً على اتباع سياسة وطنية كالسياسة التى سار فيها ترومان وبيرنز وفاندنبرج ومارشال . وقد عرف فى البيت الأبيض قبل وفاه الرئيس روزفلت بشهور أنه يفكر فى سياسة « إجارة وإعارة من أجل السلم » ، ومعنى ذلك سياسة تشابه ما يتخذ الآن من معاونة لليونان وتركيا ومقترحات مارشال من أجل أوربا . ولقد قر رأى روزفلت على هذا البرنامج بالرغم من صعوبته وكُلَفه وعدم هضم الرأى العام له ؛ لأنه كان يفهم تماماً أن العالم سيشهد صراعاً بين الهيئة الاجتماعية الغربية والهيئة الاجتماعية السوفييتية.

وكانت نقطة التحول الحقيقية لدى روزفلت هى مؤتمر يلتا ، وما أقدم عليه الاتحاد السوفييتى من خرق ظاهر للاتفاقات التى تمت فى ذاك المؤتمر فيما يختص برومانيا . فقد ظل روزفلت حتى تلك اللحظة — ولو أنه كان شاعراً بطبيعة النظام السوفييتى — يقبل العبارة التى شاعت أثناء الحرب ، وهى القول «إن كلمة ستالين يمكن الاعتماد عليها » . ولكن بعد نقض الاتفاقات صار روزفلت يبدى لأخصائه أن صبره قد نفد ، وأن مفتاح معاملاته فى المستقبل مع رجال الكرملين سيكون استعمال الشدة . وكان يفسر اتفاقات يلتا تفسيراً حرفيا ، ولم يقبل امتداد الامبراطورية السوفييتية فى شرق أوربا ولم يعتبرها حادثاً تم .وكان عازماً على أن يصر على أن يفى ستالين بوعوده نحو استقلال بولونيا ورومانيا وبلغاريا والمجر . وآخر ورقة رسمية كتبها كانت عبارة عن صورة رسالة شديدة إلى الدكتاتور السوفييتى بشأن المسألة البولونية . وقد اطلع ونستون تشرشل على فحواها فوصفها بأنها فصيحة وقوية. وأعرب روزفلت سراراً فى رسائله إلى تشرشل فى الأشهر الاخيرة من حياته عن خيبة أمله فى حكومة السوفييت ، وأوضح أنه راجع سياسته فى ضوء البراهين التى أثبتت أن كلمة ستالين خاضعة لسياسة الواقع بقدر خضوع المسائل الأخرى فى الاتجاه السوفييتى .

وقد يكون من الشائق أن نفكر فيما يحدث لو أن رئيس الجمهورية العظيم لم يقع فريسة للمرض . فقد كان

من جهة على علاقات سيئة للغاية مع البرلمان الأمريكى ، ولم يكن يعرف قط كيف يداريه ، ولا بد أنه كانت تحدث أزمة دستورية حول السياسة الخارجية تبتدئ بمجرد استسلام اليابان . ومن جهة أخرى كانت مكانته فى الخارج عظيمة بحيث كان لا بد أن يحرز النجاح على مائدة المؤتمرات ، حيث أخفق ترومان وبيرنز وفاندنبرج ومارشال . ومن المؤكد أيضاً أنه لو عاش،لعاد الوغد الذى وصفته جريدة برافدا الروسية حين كان هتلر وستالين متفقين .

ومما يدل على ما كان يجده روزفلت من عقبات فى تنفيذ سياسته ، أنه عند وفاته لم يكن نائبه يعلم بأغراضه وما يدور فى خلده . وكانت أول مرة علم بها هارى ترومان بما وصلت إليه الأمور إنما كانت بعد توليه الرياسة ، فى اجتماع عقده بحضور هارى هوبكنز ووزراء الخارجية والدفاع والبحرية ؛ فاتخذ قراراً بأن يتصرف كما يتصرف روزفلت لو كان حيا . وهذا هو الغرض الذى رمى إليه فى تقريعه لمولوتوف بشأن بولونيا ، عندما زار وزير الخارجية السوفييتية البيت الأبيض فى طريقه إلى سان فرانسسكو . ولكن ترومان غير روزفلت ، ولم يكن البرلمان الأمريكى ولا الرأى العام الأمريكى مستعدين لتأييد سياسة قوية ، ولا مستعدين لامداده بالأموال والسلطة التى لا تكون الكلمات القوية بغيرها إلا مجرد صيحة فى الهواء . لذلك كان تولى ترومان لرياسة الجمهورية بدء عصر فى السياسة الخارجية ظهر أثره سريعاً فى خطوة لم يحسن التفكير فيها هى إلغاء الاجارة والاعارة .

كانت المسألة الكبرى التى يجب على ترومان علاجها هى حقيقة السياسة السوفييتية . ومن المحقق أن سياسة الولايات المتحدة منذ تسليم ألمانيا كانت تقرر لمقابلة سياسة السوفييت ؛ وهذا شأن الدول الأخرى ، فالولايات المتحدة و بريطانيا لا ترغبان رغبة صادقة إلا فى الاشتراك على قدم المساواة فى إقامة نظام عالمى . والواقع أن الأمريكيين لقلة تجاربهم كانوا أكثر اعتماداً على هيئة الأمم المتحدة ، كعلاج دائم ، من شعوب بريطانيا والأمم الغربية . ولم تتحول أنظار أمريكا عن واجب التنظيم الدولى إلا بتحدى السوفييت و إصرارها . ولقد كانت أمريكا فى بادئ الأمر ووزارة الخارجية الأمريكية يعتبران محاولة الكرملين القبض على السلطة فى مؤتمرات الصلح

والاعتداء السافر على إيران أنها مجرد سوء تدبير ، ولم تقبل هذا التحدى إلا بتردد كبير وبعد مضى وقت طويل .

ولقد بدت حقيقة السياسة السوفييتية من عالم الخفاء حتى قبل هزيمة اليابان . فقد أخذ السوفييت ينبذ كل الوسائل للتعاون الدولى فيما عدا الاشتراك فى هيئة الأمم المتحدة ، وعمل للقضاء على كل وسيلة جديدة من هذا التعاون . وكان الخبيرون بواطن الأمور يستطيعون عندئذ أن يتنبأوا بأن رجال السوفييت سوف يستعملون حقهم فى نقض قرارات مجلس الأمن ، وأنهم سيقاومون الجهد الذى يبذله العلماء للسيطرة على أمور الطاقة الذرية . وكان هذا الامتناع عن التعاون مظهراً واحداً من مظاهر السياسة السوفييتية . والمظهر الآخر هو محاولة استغلال الفوضى التى تعقب الحرب باحتلال كل المواضع الاستراتيجية التى فى متناول قواتهم الحربية أو تسربهم السياسى .

ولكى يمكن الحكم على أعمال الرئيس ترومان فى تلك الفترة يجب أن نقدر بعض الأمور ؛ فهو لم يكن قد تخلص بعد من الروح الاقليمية فى سياسته ، وكان يواجه البلاد والبرلمان ، وكلاهما يعتقد أن الأحوال العادية ستعود سريعاً إلى العالم . وهذا هو تفسير ما وقع فيه من أخطاء كبيرة مثل إنهائه لنظام الاجارة والاعارة .

ومع ذلك فانه اتخذ خطوات إيجابية بقدر الامكان فى أن أصر على تقديم أكثر ما يمكن من وسائل الاعانة ، ومنح الحكومة البريطانية أسخى قرض يمكن أن ينال عليه موافقة البرلمان الأمريكى ، وأيد بيرنز فى موقفه الجديد نحو السوفييت الذى يتلخص فى وصفه بأنه الصبر مع الثبات . وأقدم بلا تردد على تأييد بريطانيا سياسيا وأدبيا فى مشاكلها كأزمة طرابلس وإيران . ويمكن أن يقال بالاجمال إنه قابل تحدى السوفييت بسياسة تحمل تبعات محددة .

ومن الطبيعى أنه ما دامت تبعاته محددة فانه اعتمد على بريطانيا كى تقوم ببقية العمل ، ففى كل مناطق أوربا وآسيا ، عدا ألمانيا والصين وكوريا واليابان ، كان الأمريكيون بعيدين عن أن يكونوا فى موضع الخطر ، على حين كان البريطانيون مقيمين هناك . وكان هجوم السوفييت موجهاً إلى أماكن تهم دائماً بريطانيا أكثر من الولايات المتحدة ، فكان العبء الذى تحملته بريطانيا غير عادل ، ولا يتناسب مطلقاً مع

مواردها التى كادت تقضى عليها الحرب . وكان أمر كبار الموظفين الأمريكيين عجيباً فى الثمانية عشر شهراً التى تلت الحرب ؛ فهم من الوجهة العقلية يعلمون أنه لا بد للولايات المتحدة أن تتحمل شطراً أكبر من عبء المشاكل الدولية ، ولكنهم من الوجهة العاطفية كانوا يتجنبون هذا التحمل . ولكن هذه الحالة لا تدوم فقد تحطمت فجأة عندما قرر مجلس الوزراء البريطانى فى فبراير سنة ١٩٤٧ أن تصفى بريطانيا مسئولياتها الاقتصادية فى اليونان وتركيا .

كان ذلك القرار نهاية تحمل المسئوليات المحددة ؛ إذ كان على الرئيس ترومان ومن حوله أن يختاروا بين دخول اليونان وتركيا فى النهاية فى منطقة نفوذ السوفييت ، وما يكون لهذا الحادث من نتائج بعيدة ، وبين اتخاذ سياسة نشيطة إيجابية غير محددة المسئوليات ، تنطوى على مشاكل عظيمة فى السياسة وفى التنفيذ . ولم يكن لهذا الموقف مثيل من قبل ، حتى لقد أوجد اضطراباً فى أوساط الحكومة . ولكن الشجاعة هى أبرز صفات ترومان ؛ فلم ير أمامه إلا طريقاً واحداً فدعا زعماء البرلمان إلى البيت الأبيض وأوضح لهم خفايا الأمور ، وطلب منهم أن يوافقوا على سياسة أمريكية جديدة . وما أشبه هذا الموقف بالموقف الذى ذكرناه فى سنة ١٩٣٩ ، وكان فاندنبرج فى هذه المرة يرتدى حلة بوراه ، غير أن ترومان لم يكن كيساً فى وصفه ، بل أوضح الأمور فى خشونة . ومن هذه اللحظة حدث تطور فى السياسة الخارجية الأمريكية ، وتم الاتفاق عليها بين الرئيس والبرلمان والشعب .

من هذه اللحظة كان التحول فى سياسة أمريكا قويا . ولقد نصح بعض مستشارى ترومان له بأن يواجه البرلمان بالقول إن على الولايات المتحدة واجباً من أكبر الواجبات فى جميع أنحاء العالم ، وأن يطلب السلطات اللازمة لذلك والأموال التى تعد بالبلايين من الدولارات لهذا الأمر الهائل . ولكنه لو فعل لهبت المعارضات القديمة مما يؤدى إلى انقسام الشعب . لذلك اكتفى الرئيس بطلب المال والسلطة للعمل فى اليونان وتركيا فقط ، واتخذ فى الوقت نفسه هذا الطلب لشن حملة ألفاظ شديدة على السوفييت .

الواقع أن ما حدث فى اجتماع البيت الأبيض كان أكثر تمثيلا للمبادئ التى يريد الرئيس ترومان

السير عليها ، وأكثر شرحاً لأغراضه مما قاله فى البرلمان الأمريكى . فلم تكن المناقشة فى ذلك الاجتماع مقصورة على اليونان وتركيا بل كان من موضوع المناقشة العبء الهائل الذى يقع على عاتق الولايات المتحدة ، ويحملها تبعة عالمية يسبب مركزها الجغرافى وثروتها وتعداد سكانها ، وحالة الأمور العالمية . وكان القرار الذى اتخذ هو العدول عن تحديد التبعات الذى لم يثمر وتحمل الواجبات الذى يقتضيه مركزها بصفتها دولة عظمى .

والآن يمكن من هذه القرارات أن نستخلص صورة لما ينتظر أن تكون عليه سياسة الولايات المتحدة فى المستقبل . ومن الواضح أن السنين القادمة ستقضى على أمريكا ببذل مجهودات ونفقات مختلفة فى جهات مختلفة . وفى كل مرة يجد موقف جديد سواء أكان هذا الموقف فى غرب أوربا أوالشرق الأوسط أو الشرق الأقصى ، سنجد مناقشات وتردد وتعاسة فى وشنطن . ولكن فى كل وقت لن تجد الحكومة والبرلمان والشعب مناصاً من السير فى السياسة التى بدأوها ، ولا بد من العمل بعد أن تهبط حماسة المناقشات .

ويمكن تحديد سياسة الولايات المتحدة بأن لسياستها الخارجية أغراضاً لها حد أدنى وحد أقصى . فالحد الأدنى هو الثبات السياسى والاقتصادى فى المساحات من العالم ذات الأهمية الخاصة ، ويكون ذلك بالاستعمال الانشائى للموارد الأمريكية ، وبذلك يقف التوسع السوفييتى عند ما هو عليه الآن . وهذا ما يوافق مصلحة أمريكا وبريطانيا معاً . والحد الأقصى لأغراض أمريكا هو إيجاد هيئة عالمية يمكنها حل جميع المشاكل بين الدول بطرق سلمية ، وهذا فى مصلحة الأمم جميعاً . ومن رأى السياسيين الأمريكيين أنه لا يمكن بلوغ المرمى الأكبر إلا بالحصول على الحد الأدنى ، فأحد الأمرين يعد للآخر .

ولكى نفهم هذه المسألة يجب أن نعرف وجهة نظر أمريكا فى تحليلها للسياسة السوفييتية . فمن الواضح أنه لا يمكن الاعتماد على الهيئة الدولية ما دام رجال الكرملين يعارضون فى التعاون الدولى ويرغبون فى التوسع الوطنى الروسى . على أن هذه السياسة السوفييتية ترجع إلى مصدرين : أولها ارتياب الكرملين فى العالم الخارجى ثم تعلق الكرملين بنظريات أنبياء الشيوعية . فهؤلاء يقولون إن كل مالا يسير على نظام السوفييت يسير

على نظام الرأسمالية . وهذه الرأسمالية مقدر لها حرب الطبقات والفوضى والتنازع الاستعمارى . فالرغبة التى يجدها رجال السوفييت فى التوسع تقوم على عاملين : الاستفادة من هذه الفوضى ، و إقامة سدود دونها . ولا يغرب عن ذهننا أن الامبراطوريات العظيمة تألفت بدوافع الخوف والجشع .

ولكن يجب ألا ننسى أن هنالك اختلافاً حقيقيا بين عالم السوفييت وعالم غير السوفييت ، وأن سياسة السوفييت قائمة على هذا الخلاف . وفى هذه الأحوال توجد وسيلتان لعلاج هذه الحالة : إحداهما أن تحاول الولايات المتحدة و بريطانيا استرضاء السوفييت ، ولكن أمريكا اختارت طريقاً أكثر فائدة وهو إظهار خطأ استنتاجات السوفييت بحيث لا يبقى سبب لهذا الخلاف .

ولقد تم هذا الاختيار أثناء الأزمة الايرانية ، ولقد نادى هنرى ولاس وأحزابه بوجوب العطف على السوفييت ، وكان رجال الكرملين ينتظرون أن يتغلب هذا الرأى . ولكن ترومان وبيرنز قررا بعد تردد أن يرفضا سياسة الاسترضاء التى كانت ستحدث على حساب بريطانيا ، ولا بد أن تؤدى إما إلى الحرب و إما إلى اختلال التوازن الدولى فى العالم ، وبذلك تحددت مبادئ السياسة الأمريكية .

تقررت الخطوة الحاسمة التى اتخذتها أمريكا فى سبيل الرخاء الاقتصادى والثبات حين ألقى مستر مارشال خطابه فى جامعة هارفرد ، فقطعت أمريكا شوطا بعيداً وبعيداً جداً فى الطريق الذى بدأته عند الأزمة الايرانية وسارت فيه عندما وضعت برنامج المساعدة اليونانية والتركية .

لقد كان من الواجب اتخاذ هذه الخطوة قبل زمن بعيد ، ولكن زعماء الحكومة الأمريكية كانوا بطيئين كعادتهم فى فهم الخطورة فى موقف أوربا الاقتصادى . وكثيرا ما أنذرهم الزعماء البريطانيون والأوربيون فى يأس ولكنهم لم يتأثروا بالنذير . ولو أنهم قدروا خطورة الحالة حق قدرها لكان برنامج المساعدة اليونانية والتركية جزءاً من مساعدة كبرى تشبه المشروع الذى وضعه مارشال .

وهذا المشروع نشأ عن ثلاثة أمور : أولا أن مارشال عمل قبل سفره إلى موسكو لتنظيم وزارة الخارجية الأمريكية من جديد ، وبذلك استطاعت أن تمده بالمعلومات التى كانت تنقصها بسبب نظامها العتيق . وثانياً أن

الأحوال تفاقمت فى أوربا بحيث لم يكن سبيل إلى تجاهلها . وثالثاً أن زيارته لموسكو أمدته بتجارب هامة ، فكان قبل هذه الزيارة موظفاً كفئاً ، ولكنه صار بعدها سياسيا بارعاً . لذلك ما كاد يعود مارشال من موسكو حتى أخذ فى دراسة الموقف مع معاونيه ، وتقرر لديه وجوب العمل فى الحال ، وكان الرئيس ترومان يؤيدهم تأييداً كبيراً ، ومضت أسابيع وهم يدرسون طرق العمل المختلفة . وأخيراً وجه مارشال نداءه فى هارفرد كى تتكاتف أمم أوربا وتضع أسساً مشتركة لتعميرها على أن تؤيد موارد الولايات المتحدة ما يصيبهم من عجز عن ذلك .

وكانت النتيجة أن السياسة الخارجية الأمريكية هى الآن فى الميزان لمعرفة مقدار ثباتها . ولا بد من عرض الأمر على البرلمان الامريكى لاقراره فى وضعه النهائى ؛ فاذا وافق البرلمان ووافقت الأمة على مشروع مارشال بما يتطلبه من نفقات باهظة ، فمما لا ريب فيه أنه لا يخشى بعد ذلك من أن تدير أمريكا ظهرها لأمور العالم مهما تغيرت الحكومة الأمريكية فى المستقبل .

على أن الناس يتساءلون: هل يوافق البرلمان على مشروع مارشال ؟ لا شك فى أن السواد الأعظم من أعضاء البرلمان لا يرضون عن فكرة مارشال ، وسيحاول بعضهم أن يهرب من هذا المشروع ، ولكن من القواعد المعترف بها فى أمريكا أن البلاد دائماً تنقذ نفسها فى آخر الأمر . ولما كان هذا المشروع فيه إنقاذ للولايات المتحدة كما أن فيه إنقاذاً للمستفيدين منه مباشرة ، فمن المعقول أن نفترض أن البرلمان الأمريكى سيقر هذا المشروع .

وهكذا نرى أن مستقبل السياسة الأمريكية يتوقف على سرعة عاملين مختلفين : فالسباق قائم بين تتابع الحوادث الخارجية الناشئة عن التدهور الاقتصادى والسياسى فى العالم بأجمعه ، وتتابع الحوادث فى الولايات المتحدة المؤدى إلى الادراك السياسى . فاذا كانت الاجراءات غير القاطعة التى اتخذت حتى الآن لدفع غائلة الانهيار السياسى والاقتصادى للعالم لا تنجح قبل الاستيقاظ السياسى فى أمريكا ، مما يؤدى إلى العمل على نطاق أوسع وأكثر فائدة ، فان السباق يكون خاسراً .

وعنصر الشك هذا هو الذى يجعل من الحاضر لحظة مؤلمة فى التاريخ .